سيكولوجية الرمز والمواطنة

خالد النجار•

مقدمـة:

يلجأ الإنسان إلى استخدام الرمز في العديد من السياقات لأسباب تتعلق بالتعبير، والتواصل، والتفسير، وذلك عندما يعجز أو يجد صعوبة في استخدام اللغة المباشرة أو يريد نقل معنى عميق ومعقد بوسيلة بسيطة. يمكن أن يُستخدم الرمز للتعبير عن مفاهيم روحية، اجتماعية، ثقافية، أو حتى شخصية.

فيما يلي أهم الحالات التي يلجأ فيها الإنسان إلى استخدام الرمز:

١- **عندما تكون اللغة غير كافية للتعبير عن الأفكار المجردة أو المشاعر العميقة:** فعندما تكون الأفكار أو المشاعر صعبة الوصف بالكلمات، تعبيرًا عن معتقدات أو مفاهيم غير ملموسة أو للتعبير عن مشاعر معقدة مثل الحزن، الفرح، الغموض، أو الروحانية بطرق لا تستطيع اللغة العادية إيصالها بنفس القوة.

٢- **عندما تكون هناك قيود على حرية التعبير:** هنا يستخدم الرمز وسيلةً للتغلب على القيود وقوى القهر، فيتم اللجوء إلى الرموز وسيلةً للتعبير عن الأفكار بطريقة غير مباشرة، لأنها تكون وسيلة لتجنب الرقابة أو العقوبات التي قد تُفرض على التعبير المباشر، وفي الأدب والشعر والفن، كثيرًا ما يستخدم المبدعون الرموز للتعبير عن نقد سياسي أو اجتماعي في ظل أنظمة قمعية لا تسمح بحرية التعبير.

• استاذ بكلية الطفولة المبكرة، جامعة القاهرة الايميل: khaludaa@gmail.com

٣- **للتعبير عن الهوية الثقافية والاجتماعية:** غالبًا ما تُستخدم الرموز للتعبير عن الهوية الثقافية أو الاجتماعي؛ الأزياء التقليدية، الألوان، النقوش، وحتى التصاميم المعمارية تحمل معاني رمزية تمثل قيم ومعتقدات المجتمع، فالوشم عند بعض الشعوب تُستخدم بوصفها رموزًا للتعبير عن الهوية الاجتماعية أو القبيلة أو الشجاعة.

٤- **عندما يكون الهدف إيصال معنى متعدد الأوجه:** وهو ما يسمى بالغموض المتعمد أو الرمز متعدد الدلالات؛ حيث يلجأ الإنسان إلى الرمز عندما يريد أن يكون المعنى مفتوحًا لتفسيرات متعددة، فالرمز دال مفتوح يحتمل ويحتوي على كثير من المدلولات، فتسمح بتفسيرات متنوعة وتعطي الفرصة للمتلقي أن يتفاعل مع النص أو العمل الفني بطرق مختلفة، ففي الفن السريالي مثلًا، تُستخدم الرموز لجعل المتلقي يتساءل ويبحث عن معانٍ متعددة الدلالات التي تحتاج لمزيد من الجهد لفهمها نظرًا لتعددية الدال وتعددية المدلول.

٥- **للتواصل عبر الزمن والثقافات؛** حيث تستخدم الرموز وسيلةً للتواصل عبر الأجيال، فبعض الرموز قديمة قدم التاريخ، ولا تزال تحمل معاني مشابهة حتى اليوم، فالصليب في المسيحية رمز للإيمان والخلاص، والهلال والنجمة في الإسلام رمزًا للدين والوحدة، ويستخدم القلب بوصفه رمزًا عالميًّا للحب.

٦- **التعبير البصري عن الأفكار المعقدة؛** حيث يلجأ الإنسان إلى استخدام الرموز عندما يريد تبسيط فكرة معقدة أو إيصال رسالة سريعة، فتستخدم الرموز في العلامات المرورية، الرسوم البيانية، والرسائل البصرية اليومية لتوضيح المعاني بوضوح وسرعة، مثل استخدام رمز القفل لتمثيل الأمان

أو رمز البريد لتمثيل الرسائل الإلكترونية.

٧- **التعبير عن القوة والسلطة والهيبة أو المكانة؛** حيث تُستخدم الرموز كثيرًا لإظهار القوة والمكانة، سواء كانت تلك القوة سياسية، اجتماعية، أو دينية. استخدام التيجان، الأعلام، والشعارات هي أمثلة شائعة للرموز التي تعبر عن السيادة والسلطة، فالفرعون في مصر القديمة كان يُصوّر باستخدام رموز مثل التاج والعصا الملكية للتعبير عن سلطته المطلقة.

الدلالات النفسية والتاريخية والدينية لاستخدام الرمز الحيواني في فهم وتفسير السلوك الإنساني:

استخدام التراث الإنساني الحيوانات كوسيلة لفهم السلوك الإنساني يمثل جزءًا أساسيًا من التاريخ النفسي والديني والثقافي للبشرية، سواء كان ذلك من خلال تجارب علمية، رموز أسطورية، أو مفاهيم دينية، فإن الحيوانات تعكس جوانب متعددة من الشخصية الإنسانية، وتسهم في بناء سرديات عن الذات، العالم، والآخرين.

استخدمت الرمزية الحيوانية في التحليل النفسي عند فرويد في كتابه "الطوطم والتابو" وكذلك في كتاب "علم النفس التحليلي" عند كارل يونغ؛ حيث تُعتبر الحيوانات رموزًا لمحتويات اللاشعور الإنساني، فهي تعبر عن غرائز وطبيعة الإنسان البدائية التي غالبًا ما تكون مكبوتة أو لا شعورية، مثل الذئب، والأسد، والثعلب، وقد تمثل جوانب مختلفة من الذات مثل القوة، الذكاء، أو العدوانية.

فاستخدام الرمز الحيواني في الأمثال الشعبية يبرز فهم الإنسان لسلوكه وتفاعلاته مع الآخرين من خلال إسقاط صفات الحيوان عليه. هذه الأمثال ليست مجرد أقوال عابرة، بل تمثل انعكاسًا عميقًا لخبرات الناس وأفكارهم حول

العلاقات البشرية، وكيف يمكن للمرء التعلم من سلوك الحيوان ليتعامل مع التحديات والأخطار في حياته.

ملامح وأمثلة لاستخدام الحيوان في التراث الإنساني:

ففي **كتاب كليلة ودمنة،** الذي يرجع إلى الأدب الهندي وتُرجم إلى العربية على يد عبد الله بن المقفع، يتم استخدام الحيوانات كأدوات سردية رمزية لتقديم دروس وحكم أخلاقية وسياسية.

يتمحور الكتاب حول قصص الحيوانات الناطقة التي تتفاعل مع بعضها بعضًا في سياقات تشبه حياة البشر، وتعبّر عن قيم ومفاهيم إنسانية من خلال تلك الحيوانات.

إليك كيفية استخدام الحيوانات في هذا الكتاب:

- **الحيوانات كرموز لشخصيات بشرية:** الحيوانات في "كليلة ودمنة" تمثل صفات إنسانية، فكل حيوان تم اختياره بعناية ليجسد سلوكيات وقيمًا ومفاهيم محددة مثل الحكمة، المكر، القوة، الضعف، الوفاء أو الخيانة، **فالأسد:** الذي يمثل الملك أو الحاكم، يعكس تصرفات الملوك والحكام، وكيفية اتخاذهم للقرارات بناءً على نصائح مستشاريهم أو خضوعهم للأطماع، بينما **الثعلب (دمنة)** الذي يرمز إلى الخداع والمكر، الذي يتآمر في القصص ليحقق مصالحه الشخصية، سواء عبر التحايل أو الخيانة، **الثور (شترة)** فيمثل البساطة والبراءة، ففي بعض القصص، يكون الثور رمزًا للمظلوم الذي يتعرض للخيانة من أصدقائه ويتم التضحية به، كذلك نجد **الغراب والبوم:** يستخدمان في قصص الصراعات والتنافس الطويل بين طرفين، ويرمزان إلى الأعداء الذين لا يمكنهم التوصل إلى تسوية فيما بينهم، ويستمران في صراع لا ينتهي.

- **البنية الدرامية في قصص الحيوان:** المتأمل للبنية الدرامية للأحداث والقصص في الكتاب سيجد أنه يعتمد على تقنية القصص الإطارية؛ حيث يبدأ السرد من قصة رئيسية، ثم تتداخل حكايات جانبية؛ حيث تستخدم الحيوانات كشخصيات رئيسية في هذه الحكايات للتعبير عن دروس أخلاقية أو اجتماعية، فيتم بناء الحكايات بتركيبة تجعل القارئ يتأمل في تصرفات الحيوانات ويتعلم من خلالها دروسًا للبشر.
- **الرموز السياسية في قصص الحيوان:** الكثير من الحكايات في "كليلة ودمنة" تحمل دروسًا سياسية خفية؛ حيث يتم تناول موضوعات مثل: **السلطة والتآمر**، فالثعالب والذئاب، تسعى باستمرار للتآمر على الحيوانات القوية أو الملك، ويكون الهدف هو السيطرة على الحكم أو النفوذ، بينما تتحدث القصص عن **العدالة والمساواة** فبعض القصص تعكس حاجة الحكام للتصرف بعدالة والتفكير في مصالح الرعية، دون التسرع في الأحكام.
- **البُعد الفلسفي في قصص الحيوان؛** حيث يمتزج البُعد الأخلاقي بدلالات فلسفية فنجد قصص الحيوان يعكس قيمًا فلسفية حول الحياة والموت، القوة والضعف، الثقة والخيانة. فنجد الحيوانات تقدم هذه التأملات بطريقة تجعل القارئ يدرك تعقيدات النفس البشرية والمجتمع.

مثال على القصص الحيوانية في كليلة ودمنة:

- **قصة الأسد والثور:** الأسد يعتمد على الثور صديقًا ومستشارًا، لكن الثعلب (دمنة) يخدع الأسد ويدفعه لقتل الثور بزعم أن الثور يسعى للانقلاب عليه. القصة تعكس كيف يمكن أن يؤدي الاستماع إلى المؤامرات والشائعات إلى الدمار، ففي "كليلة ودمنة"، يتم استخدام الحيوانات رموزًا

لشخصيات بشرية وأخلاقية، كل حيوان يحمل صفات معينة تعكس تصرفات البشر، وتتيح هذه الرمزية للكاتب تقديم نقد اجتماعي وسياسي وتعليمي بطريقة خفية لكنها فعّالة.

الدلالة الرمزية لاستخدام الحيوان في قصص ألف ليلة وليلة:

ألف ليلة وليلة هو كتاب يتضمن مجموعة من القصص المتنوعة، وتستخدم الحيوانات في بعض هذه القصص كرموز تحمل دلالات رمزية متنوعة. توظف هذه الحيوانات لتجسيد صفات إنسانية وأخلاقية أو لتوضيح أفكار فلسفية واجتماعية، ومن بين هذه الحيوانات الواردة فيها:

- **الأسد:** الذي يمثل دائمًا القوة، السلطة، والشجاعة، ويظهر في القصص كرمز للحاكم أو الملك، وهو يعبر عن القوة والحزم، ولكنه أحيانًا يمثل أيضًا التسلط والظلم إذا لم يُستخدم قوته بحكمة، فيظهر الأسد في عدة حكايات كحاكم يتصرف بحزم وشجاعة، ولكنه قد يسقط في فخ الطغيان أو الاستبداد بسبب سوء تقديره أو استماعه لنصائح خبيثة.
- **الثعلب:** الذي يرمز إلى المكر والخداع، يظهر غالبًا كحيوان ماكر يتلاعب بالآخرين لتحقيق مصلحته الشخصية، مما يجعله رمزًا للمكر والدهاء الذي قد يقود إلى النصر أو الهلاك، فيُستخدم الثعلب دائمًا لتمثيل الشخصيات التي تستخدم الخداع والمكيدة للوصول إلى أهدافها، سواء كانت هذه الأهداف شريرة أو ذكية.
- **الحمار:** من أشهر الرموز ذات الدلالة التي لا تتغير؛ حيث يرمز إلى البساطة، التحمل، وأحيانًا الغباء أو السذاجة، فيظهر الحمار في قصص عديدة كمثال للشخص الذي يتحمل العمل الشاق دون شكوى، وأحيانًا كرمز للسذاجة أو الفهم المحدود، ويعكس الحمار الشخصيات التي

تُستخدم من قِبل الآخرين وتخدع بسهولة بسبب طبيعتها البسيطة وغير المتعلمة.

- **الثور:** يمثل الثور القوة والعمل الشاق، ويُعبر عن الشخصيات التي تتحمل الصعاب وتعمل دون توقف، ولكنه قد يكون أيضًا رمزًا للضحايا الذين يتعرضون للخيانة أو الاستغلال، فقصص الثور غالبًا تنتهي بأنه ينخدع من أصدقائه ويصبح ضحية لمكائدهم؛ مما يجعله رمزًا للبراءة التي تُخدع بسهولة.
- **الثعبان:** يرمز إلى الخطر والمكر، وغالبًا ما يُستخدم لتمثيل الشر أو الخداع، هو حيوان قد يحمل معنى التحذير من التهديدات الخفية أو المؤامرات التي تتربص بالشخصيات، ففي معظم الحكايات، الثعبان أو الحية تظهر كرمز للخطر الذي يهدد حياة الأبطال أو كتحذير من الشخصيات المخادعة.
- **الكلب:** غالبًا ما يُستخدم كرمز للوفاء والولاء، ولكنه قد يظهر أيضًا في بعض القصص رمزًا للحراسة أو الحماية، ويتم تصوير الكلب في الحكايات كمرافق مخلص للبطل.
- **الفرس (الحصان):** يُمثل القوة والسرعة والشجاعة، وغالبًا ما يرتبط بالأبطال الذين يركبونه في المغامرات والرحلات، فهو رمز للفروسية والنبل، وهو أكثر من يساعد البطل في تحقيق الانتصارات ويظهر كذلك كرمز للحرية والقوة.

واستخلاصًا لهذا الطرح نجد أن في "ألف ليلة وليلة" يتم استخدام الحيوانات بطرق رمزية متعددة للتعبير عن الصفات الإنسانية والسلوكيات الأخلاقية، ومن خلال هذه الرموز الحيوانية، يتم تقديم رسائل عن القوة، الخداع، الوفاء، والحكمة؛ مما يجعل الحيوانات جزءًا أساسيًا من السرد والتأمل

الفلسفي والأخلاقي في هذه الحكايات.

النقوش والرموز الحيوانية في الحضارة الفرعونية:

كان استخدام الرموز الحيوانية له مبررات دينية، ثقافية، ورمزية عميقة، ففي السياق الديني والثقافي، الحيوانات كانت تُعتبر تجسيدًا للقوى الطبيعية والعالم الروحاني، ولها أهمية رمزية تمثل جوانب معينة من الحياة، القوة، الحماية، والتوازن.

بعض الأسباب التي جعلت النقوش الحيوانية تُستخدم بشكل بارز في الحضارة الفرعونية بدلًا من الاقتصار على الرمز الإنساني تشمل:

- الدين والعقيدة؛ حيث استخدمت الحيوانات كرموز للآلهة، فالعديد من الآلهة في الديانة المصرية القديمة كانوا يُصوّرون بأجساد بشرية ورؤوس حيوانات، أو في شكل حيوانات كاملة، وهذا يعود إلى الاعتقاد بأن الآلهة تمتلك صفات معينة تتجسد في هذه الحيوانات. مثلًا:
  - الإله حورس: كان يُصوّر برأس صقر، وهو رمز للقوة الملكية والحماية.
  - الإله أنوبيس: كان له رأس ابن آوى، وهو رمز للعالم الآخر والموتى.
  - الآلهة باستيت: كانت تُصور برأس قطة، وهي رمز للحماية والخصوبة والحنان.

فالحيوانات كانت تمثل جوانب وقوى من الطبيعة التي يُعتقد أن الآلهة تسيطر عليها أو تتجسد من خلالها، ولذلك تم استخدام هذه الرموز لربط العالم الطبيعي بالعالم الروحاني.

- **الصفات الرمزية للحيوانات؛** حيث ارتبط الفرعون والآلهة بصفات معينة تُجسدها الحيوانات. مثلًا: فالأسد قد يُمثل القوة والشجاعة والسيطرة؛ لذلك كانت تُستخدم صوره رمزًا للحماية، بينما الصقر، يرمز إلى السمو والرؤية

بعيدة المدى، وقد استُخدم كرمز للسلطة والسيادة، فالحيوانات لم تكن مجرد رموز، بل كانت تُستخدم لتجسيد مفاهيم معقدة مثل الحياة والموت، والبعث، والقوة، والحماية.

- **الدور الطبيعي للحيوانات في البيئة الفرعونية المصرية؛** حيث كان المصريون يعيشون في بيئة طبيعية غنية ومتنوعة بالحياة البرية، من النيل إلى الصحراء، وكانت الحيوانات جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد استلهم المصريون القدماء الكثير من الثقافة والفن من الحيوانات المحيطة بهم، والتي أدت دورًا في حياتهم العملية والدينية، فقد كان النيل موطنًا حاضنًا للحيوانات وهو شريان الحياة لمصر، كان موطنًا للعديد من الحيوانات المقدسة والحيوانات التي تستخدم في الزراعة والرعي، هذه الحيوانات كانت تؤدي دورًا في الطقوس الدينية والأساطير، ومن ثم، كان تصويرها في النقوش جزءًا من احترام المصريين للطبيعة.
- **التواصل بين الإنسان والطبيعة؛** حيث كان المصريون القدماء يرون أنفسهم جزءًا من دورة الحياة والطبيعة، وليسوا منفصلين عنها، فالحيوانات كانت تمثل الجوانب المختلفة للطبيعة، واستخدام رموزها في الفن والدين كان وسيلة للتواصل مع تلك القوى الطبيعية؛ لذا كانت الرموز الحيوانية تُستخدم لتمثيل القوة والغموض والجوانب الروحية للطبيعة التي رآها المصريون في بيئتهم.
- **التجريد والتصوير الفني؛** حيث استخدمت الحيوانات في الفن المصري القديم بحيث تعكس توجهًا نحو التجريد الرمزي، فالفن المصري لم يكن مجرد تصوير واقعي للأشخاص أو الحيوانات، بل كان يهدف إلى نقل معانٍ رمزية ومعنوية، فالحيوانات كانت تُستخدم كرموز تحمل معاني مجردة مثل القوة، السرعة، الحماية، والسيادة.

- **التفرد الثقافي والرمزي:** استخدام الرموز الحيوانية في الحضارة الفرعونية كان طريقًا لتأكيد الهوية الثقافية والدينية للمصريين القدماء؛ حيث كانت هذه الرموز خاصة بثقافتهم وعقائدهم، وتعطي طابعًا مميزًا للفن والدين المصري القديم مقارنةً بحضارات أخرى، كانوا يسعون من خلال هذه الرموز إلى تفسير العالم الروحي والكوني بطريقة تتوافق مع معتقداتهم.
- **الرؤية للعالم الروحي؛** حيث إن المصريين القدماء اعتقدوا بوجود عالم روحي متصل بالعالم الطبيعي، ورأوا أن الحيوانات تمتلك قدرات خاصة تمكِّنها من العيش في هذا العالم الروحي؛ لذلك، تم تصوير العديد من الحيوانات في النقوش والمعتقدات الدينية ككائنات لها دور محوري في الحياة بعد الموت، مثل "الإله أنوبيس" الذي كان يرعى الموتى في رحلتهم إلى العالم الآخر.

الأمثال الشعبية واستخدام الرمز الحيواني في التعبير عن السلوك الإنساني:

الأمثال الشعبية تُعَدّ واحدة من الوسائل البارزة التي استخدمتها المجتمعات للتعبير عن السلوك الإنساني وفهمه من خلال الرمز الحيواني. ترتكز الأمثال الشعبية على الحكمة المكتسبة من التجارب اليومية، وغالبًا ما تعكس تفاعلات الإنسان مع الطبيعة والحيوانات. استخدام الحيوانات في الأمثال يعزز الرسائل الاجتماعية والأخلاقية، ويوفر مقارنة سهلة بين تصرفات البشر وسلوك الحيوانات.

فاستخدام الحيوانات في الأمثال الشعبية يحمل إسقاطات رمزية وسياسية عميقة تعبر عن معانٍ اجتماعية ونفسية وثقافية، ومن خلال تشبيه الحيوانات بصفات أو أدوار معينة، تتيح هذه الأمثال للفرد والمجتمع التعبير عن قضايا ومواقف معقدة بأسلوب بسيط وفعّال؛ حيث جسدت:

- **الإسقاطات الرمزية؛** حيث يتم استخدام الحيوانات كرموز لتمثيل صفات بشرية معينة، مثل الشجاعة والقوة، أو الجبن والدهاء. فالثعلب مثلًا يرمز للمكر، بينما الأسد يمثل الشجاعة والقوة، وهذه الرموز تساعد على توضيح الصفات التي يريد الناس وصفها وتوصيفها بوضوح.
- **التعبير عن الطبيعة البشرية بتنوعها:** من خلال الأمثال التي تربط صفات الناس بصفات الحيوانات، يتم تصوير الطبيعة البشرية بأوجهها المختلفة، كالطيبة (الحمل)، والبراءة (العصفور)، والقسوة (الذئب)، والخيانة (الثعلب)، وتعد هذه الرموز تمثيلات مرئية يسهل للناس تذكرها وتداولها.
- **النقد الاجتماعي غير المباشر؛** حيث تستخدم بعض الأمثال الحيوانات كوسيلة لانتقاد عيوب الناس أو المجتمع، كأن يقال "مثل الحمار يحمل أسفارًا"، كناية عن الشخص الذي يملك المعرفة أو المال دون فائدة. هذا الأسلوب يُعتبر نقدًا غير مباشر؛ مما يسمح بتجنب الإحراج أو التصادم.
- **الإسقاطات السياسية من حيث التلميح للظلم والاستبداد:** في الأمثال الشعبية، غالبًا ما يرمز الأسد إلى الحاكم أو السلطة القوية، وتُستخدم بعض الأمثال التي تتحدث عن الأسد أو الذئب كوسيلة رمزية للتعبير عن السلطة القمعية أو الاستبداد، مثل "الأسد يظل أسدًا حتى وإن هرِم"؛ مما يُعبر عن مكانة الحاكم وقوته حتى في أضعف حالاته.
- **الاحتجاج والرفض؛** حيث تستعمل الحيوانات الضعيفة أو المظلومة، مثل الخروف أو الحمار، للتعبير عن معاناة الشعب في ظل الظلم أو الظلم الاجتماعي، كأن يقال "الخروف يُقاد للذبح صامتًا"؛ مما يوحي بمقاومة صامتة أو رضا بالظلم دون قوة على التغيير.
- **تسليط الضوء على التناقضات الاجتماعية:** بعض الأمثال تستعين بصور

حيوانية لتسليط الضوء على التناقضات الاجتماعية والسياسية، مثل قول "الذئب في ثوب الحمل"، وهو مثل يصف الأشخاص الذين يظهرون الطيبة لكنهم يتصفون بالقسوة أو الخداع، وغالبًا يُسقط هذا الوصف على السياسيين أو الشخصيات النافذة التي تخفي نواياها.

- **التعبير عن الحاجة إلى الوحدة والقوة:** تستخدم بعض الحيوانات في الأمثال للتعبير عن أهمية التعاون والوحدة، كقول "الطيور على أشكالها تقع"، مما يشير إلى التجمع الطبيعي للأفراد المتشابهين، أو قول "يد واحدة لا تصفق"، والذي يوحي بضرورة التعاون، وقد يُسقط هذا المثل سياسيًّا للتأكيد على ضرورة وحدة الصف الشعبي في مواجهة التحديات.
- **الاستعارة للتعبير عن الاستغلال:** يُستخدم الحمار، على سبيل المثال، رمزًا للاستغلال والعبء الثقيل؛ حيث يقول الناس "مثل الحمار في الطاحونة"، كناية عن الشخص الذي يتحمل المهام الصعبة والشاقة دون تقدير، وهذا يمثل صورة عن الطبقات العاملة والمستغلة في المجتمع.
- **تحفيز الوعي السياسي:** تساعد الأمثال المرتبطة بالحيوانات على تعليم الناس حكمة التعامل مع السلطة والقوة، وأهمية التمييز بين الصديق والعدو، مثل "احذر الذئب إذا تبسّم"، الذي يحث الناس على الحذر من الأعداء الماكرين.
- **التوجيه نحو العقلانية والتفكير السليم:** من خلال رموز الحيوانات، تركز الأمثال على حكمة معينة قد تساعد الناس في توجيه سلوكهم السياسي والاجتماعي، مثل "ليس كل ما يلمع ذهبًا"؛ مما يحث الناس على التحقق من الحقيقة قبل الاندفاع.

باختصار، تشكل الحيوانات في الأمثال الشعبية أداة رمزية قوية لتبسيط القضايا المعقدة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية، وتتيح للناس التعبير عن

مشاعرهم ومواقفهم بأسلوب مبسط وغير مباشر؛ مما يعزز من رسائلها ويوصلها بطريقة فعّالة ومستدامة.

الدلالة الرمزية لاستخدام الوشم (التاتو) لرموز حيوانية:

استخدام الوشم ورسم الحيوانات على الجسم يحمل دلالات رمزية وثقافية وشخصية عميقة، ويعبر عن الكثير من المعاني التي تختلف بحسب الثقافة والفرد؛ حيث ترتبط الحيوانات في الوشم غالبًا بصفات أو قيم يطمح الشخص لتحقيقها أو يشعر بأنها تمثله، فهي امتدادات نرجسية لصورة الأنا المثالي الرمزي والخيالي وربما الواقعي، فلا تكون رسمة التاتو بما تتضمنه صدفة ولا اختيارها يكون عشوائيًا، فالحتمية النفسية تؤدي الدور الأكبر في تحديد واختيار نوع وطبيعة ومضمون الرسم، بل وفي مكانه وموضعه على الجسم سواء في مواضع مرئية ظاهرة أو مواضع غير مرئية أو ظاهرة.

- **الدلالات الرمزية المرتبطة بأنواع الحيوانات:**

- **الأسد:** يعتبر رمزًا للقوة، والشجاعة، والقيادة، وهو غالبًا ما يُختار من قبل الأشخاص الذين يسعون لتجسيد صفات القائد أو القوة الشخصية.
- **النسر:** يرمز إلى الحرية، والبصيرة، والسمو، لكون النسر يطير عاليًا ويرى الأمور من منظور واسع. لذا، يُعتبر رمزًا للتحرر والنظرة المتعمقة.
- **الثعبان:** يحمل دلالات متناقضة؛ في بعض الثقافات يرمز للحكمة والتجدد لارتباطه بتغيير جلده، وفي ثقافات أخرى يُعتبر رمزًا للدهاء والخطر.
- **الذئب:** يُرمز إلى الولاء والحكمة والحرية؛ إذ يعيش الذئب ضمن مجموعات ويرتبط بالوفاء لعائلته؛ لذا يعتبره بعضهم رمزًا للولاء والشجاعة، في حين قد يرمز للعدوانية أو الانعزال لدى آخرين.
- **الفراشة:** تعبر عن التحول والنمو، وتمثل التغييرات الكبيرة في الحياة أو

الولادة من جديد، وهي رمز شائع لدى أولئك الذين مروا بتجارب تحوّل كبرى.

- **القطة:** تمثل الاستقلالية، والغموض، والحظ، وهي مرتبطة بروح متحررة وغامضة، وتدل على الأنوثة والحكمة في بعض الثقافات.
- **الدب:** يرمز للحماية، والقوة، والقدرة على التحمل، إذ يرى الأشخاص الذين يختارون وشم الدب أنهم يمتلكون قوة داخلية وعزيمة قوية.

- **الدلالات النفسية والشخصية:**

- **التعبير عن الهوية الذاتية:** يعكس اختيار حيوان معين في الوشم رغبة الفرد في التعبير عن جزء من هويته وشخصيته، فاختيار حيوان مثل الأسد، يمكن أن يكون دلالة على ثقة الفرد بنفسه، في حين اختيار الفراشة قد يدل على شخص مرّ بتجربة تحوّل مهمة.
- **إظهار القيم والأهداف الشخصية:** بعض الأشخاص يختارون حيوانات معينة للتعبير عن أهدافهم أو القيم التي يطمحون لتحقيقها، مثل اختيار الغزال الذي يرمز للسلام الداخلي واللطف؛ مما يعكس سعي الشخص للهدوء والسلام.
- **البحث عن الحماية والدعم العاطفي:** يمثل الوشم أحيانًا طقوسًا رمزية يستخدمها الشخص لطلب الحماية أو القوة الروحية. ويعتبر وشم الذئب أو الدب، على سبيل المثال، بمثابة "حامي" يعبر عن الشعور بالأمان والثبات.

- **الدلالات الاجتماعية:**

- **التعبير عن الانتماء القبلي أو الاجتماعي:** في بعض الثقافات، يستخدم الوشم الذي يحمل رموزًا حيوانية للتعبير عن الانتماء إلى جماعة معينة أو

قبيلة؛ حيث قد تختار بعض القبائل حيوانًا ليكون رمزًا مشتركًا بين أفرادها.

- **التأكيد على الحماية الجماعية:** يمثل رسم الحيوان أحيانًا رمزًا لحماية الجماعة القبلية أو العقائدية؛ حيث يُعتقد أن روح الحيوان تدافع عن أفراد المجموعة وتحميهم من المخاطر.

- **الدلالات الروحانية:**

- **الارتباط بالقوى الروحية:** يتم اعتبار بعض الحيوانات كوسيلة للتواصل مع العالم الروحي، ويُعتقد أن كل حيوان يمتلك "روحًا" أو "طاقة" يمكنه مساعدة الفرد في رحلته الروحية، مثل الطوطمات التي تمثل الحيوان المرشد أو الروحي للفرد.
- **تحقيق السلام الداخلي والتوازن:** يرتبط وشم بعض الحيوانات مثل الدلفين أو السلحفاة بالطاقة الإيجابية والهدوء، ويُعتقد أنه يمكن أن يجلب للفرد شعورًا بالراحة النفسية والسلام الداخلي.

اختصارًا، فاختيار وشم حيوان معين يعكس جزءًا من هوية الفرد ويمثل قِيَمه وشخصيته، ويجسد علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي وقيمه الروحية والرمزية؛ مما يجعل الوشم وسيلة تعبير قوية تحمل دلالات عميقة ومتنوعة.

مفهوم جديد للمواطنة الرمزية:

يبدو أن البحث عن سياق وحتمية لتمرير مفهوم أو موضوع أو رسائل لا تحتاج في جوهرها إلى أي أطروحات غير مباشرة، فعرض المعروض وشرح المشروح وتفسير المفسر وتجزئ المجزأ وتفتيت المفتت ودراسة المدروس وكتابة المكتوب وفهم المفهوم، ستكون أقرب ما تكون إما للغة المرضى العقليين أو المعاقين عقليًا أو ضحايا القهر المعلن وغير المعلن، فاللجوء للبحث عن سياق غير مباشر لطرح ما هو مباشر سواء باستخدام الرمز الإنساني أو الرمز

الحيواني أو بالهروب إلى الخيال والإيهام ما هو سوى تعبير عن واقع يلفظ أنفاسه الأخيرة وينهار فاقدًا للوعي بالآخر بعد أن صنع من الحياة سجنًا كبيرًا لا يعيش فيه أحرار ومفكرون ومنظرون ومبدعون، حياة غير آدمية لم تعد تصلح للبشر أصحاب الرسالة المستنيرة والأدوار المجتمعية القيادية، ومن هنا جاء الطرح لمفهوم جديد للمواطنة الرمزية باستخدام الحيوان، باعتباره الآخر المختلف الذي بات عليك أن تبحث عن نفسك فيه، فتكون حمارًا أو خروفًا أو كلبًا أو ذئبًا، ليس شكلًا وإنما بالسمات والخصائص والسلوك.

بيد أن هذا الطرح السابق سيدفعنا نحو مزيد من القصدية الرمزية باستهداف سمات وخصائص محددة لحيوانات معينة سادت خصائصها، وفرضت نفسها عليها بتواتر تراثي وتلميحات فطرية وبدائية حتى أصبحت رمزية لا رمز فيها، وسوف يقتصر الطرح والتفسير على الحمار والخروف والكلب فقط لأسباب لا يمكن التعبير عنها على نحو صريح ومباشر رغم أنها جميعًا أسباب معلومة.

أولًا: المواطنة وسيكولوجية الحمار

الحمار هو حيوان ذو دلالات رمزية ونفسية متعددة في مختلف الثقافات والحقب التاريخية، تتنوع هذه الدلالات بين الإيجابية والسلبية بناءً على السياق الثقافي والرمزي، وبقليل من الخيال والإيهام إذا حاولنا أن نتخيل للحظات أننا نتحدث عما يمكن وصفه بالمواطن الحمار سيكون للحديث معان أخرى ودلالات مغايرة ومدلولات أكثر تأثيرًا وواقعية، فالتشبيه والتشابه جائز في الخيال ولا يمكن منعه أو حصره أو تقييده بعيدًا عن واقع فرض علينا هذا.

الدلالات النفسية:

١. **الصبر والمثابرة:** الحمار يُعرف بقدرته على التحمل والصبر في أداء الأعمال الشاقة، هذا يرمز إلى المثابرة والتحمل في مواجهة الصعاب والتحديات، كأن نقول "اربط الحمار مطرح ما يعوز صاحبه" دلالة على الطواعية الشديدة.

٢. **العناد والاستقلالية: الحمار** يُعتبر عنيدًا في بعض الأحيان، ويرفض التحرك إذا شعر بالخطر أو الإرهاق، هذا يرمز إلى الاستقلالية وعدم الاستسلام للضغوط الخارجية.

٣. **التواضع والبساطة:** الحمار يُستخدم غالبًا في الأعمال اليومية البسيطة والمهن الريفية؛ مما يرمز إلى التواضع والابتعاد عن التعقيد.

٤. **الذكاء العملي:** على الرغم من أنه قد يبدو بطيئًا أو غير ذكي، فإن الحمار يمتلك ذكاءً عمليًا يمكّنه من التعامل مع المواقف الصعبة بحكم، كأن نقول "التكرار بيعلم الحمار".

الدلالات الرمزية:

١. **العمل الشاق:** الحمار يُستخدم رمزًا للعمل الشاق والتحمل في العديد من الثقافات، يرمز إلى الطبقة العاملة والجهود المبذولة في الأعمال الشاقة.

٢. **الحكمة الفطرية:** في بعض الثقافات، يُعتبر الحمار رمزًا للحكمة الفطرية والمعرفة العملية، رغم مظهره المتواضع.

٣. **الرمزية الدينية:** في المسيحية، يُذكر الحمار في العديد من السياقات الدينية، مثل دخوله مع المسيح إلى القدس، يُرمز إلى التواضع والبساطة.

٤. **السخرية والتقليل من الشأن:** في بعض السياقات، يُستخدم الحمار

للسخرية أو التقليل من شأن شخص ما؛ حيث يُنظر إليه كرمز للغباء أو عدم الفهم، كأن نقول "مقدرش على الحمار يقدر على البردعة".

٥. **التحمل والثبات:** يرمز الحمار إلى القدرة على التحمل والثبات في مواجهة المصاعب، وهو رمز للقوة الصامتة التي تتحدى الظروف الصعبة.

الدلالات في الأدب والثقافة الشعبية:

١. **الأمثال والحكم:** الحمار يظهر في العديد من الأمثال والحكم التي تعبر عن الحكمة الشعبية. على سبيل المثال، المثل الشهير "الحمار لا يحب الطحينة" يعبر عن عدم توافق شيء ما مع طبيعة الشيء الآخر.

٢. **الشخصيات الأدبية:** في الأدب، يظهر الحمار كشخصية ترمز إلى البساطة أو السخرية، مثل شخصية الحمار في قصة "شريك" الذي يعبِّر عن البساطة والحكمة بطريقة فكاهية.

الدلالات النفسية والرمزية في التحليل النفسي:

١. **الصورة الداخلية:** يمكن أن يُنظر إلى الحمار كرمز لصورة الشخص عن نفسه إذا كان يراه يعمل بجد ويثابر في مواجهة الصعوبات، يمكن أن يُعبر عن كيف يرى الشخص نفسه في إطار الحياة اليومية والتحديات التي يواجهها.

٢. **التفاعل مع الآخرين:** استخدام الحمار رمزًا في الأحلام أو الأدب قد يعكس كيف يتفاعل الشخص مع الآخرين في بيئته الاجتماعية، سواء كانت هذه التفاعلات تتسم بالصبر أو العناد أو الحكمة العملية.

وإجمالًا لهذا الطرح فإن الحمار يحمل دلالات نفسية ورمزية متعددة ومعقدة، تتراوح بين الصبر والتحمل إلى العناد والاستقلالية، ومن البساطة

والتواضع إلى الذكاء العملي، وما أكثر الدلالات الرمزية لاستخدام الحمار في وصف لحال المواطن الذي يكد ويشقى بكل إخلاص وتفان مقابل أن يجد ما يأكله وما يشربه دون تمرد أو اعتراض أو رفض، بل إن هذه الدلالات تجعل الحمار رمزًا غنيًا ومعبرًا في الثقافات المختلفة للاستقرار والاستغراق في العمل مهما بلغت مشقته، وقد يلاقي هذا التشبيه قبولًا منقطع النظير لدى الكثيرين الذين يسعون نحو الاستقرار المرهون بتوفير طعام وشراب واستقرار؛ مما يساعد على فهم الجوانب المختلفة من النفس البشرية والسلوك الاجتماعي، فالحمار يمكن أن يصبح نموذجًا مثاليًا للمواطن المستقر.

ثانيًا: المواطنة وسيكولوجية الخروف

الخروف كرمز يحمل دلالات رمزية وتاريخية وسيكولوجية تعكس جوانب متعددة من الصفات الإنسانية والمفاهيم المجتمعية عبر التاريخ، مثل الطاعة، البراءة، الاستسلام، وأحيانًا التضحية، هذه الدلالات تعبر عن فهم الإنسان لسلوكيات معينة في سياقات اجتماعية ودينية وأخلاقية.

الدلالات الرمزية الإيجابية:

- **الطاعة والانقياد:** رمز الطاعة العمياء: يعتبر الخروف في العديد من الثقافات رمزًا للطاعة والاتباع الأعمى، وذلك لكونه يسير ضمن القطيع دون تردد أو تفكير، ما يعكس طاعة الإنسان العمياء للأعراف الاجتماعية أو السلطة أحيانًا، ويستخدم هذا الرمز في الأمثال الشعبية للتعبير عن الأشخاص الذين يتبعون الجماعة دون تفكير مستقل، مثلما يقال "يمشي مثل الغنم"، في إشارة لمن يتبعون الآخرين دون إدراك.
- **التبعية الجماعية:** في علم النفس الاجتماعي، يُستفاد من صورة الخروف كرمز لما يسمى بـ "عقلية القطيع"، وهي ظاهرة يتبنى فيها

الأفراد سلوك الجماعة خوفًا من العزلة أو الشعور بالاغتراب، وهذا التشبيه يعكس كيف يمكن للجماعات أن تُشكّل سلوكيات الأفراد؛ حيث ينزع الأفراد للاتساق مع التيار السائد دون اعتراض.

- **البساطة والبراءة:** رمز البراءة والنقاء: في الكثير من الثقافات، يُنظر إلى الخروف كرمز للبراءة والبساطة، لكونه من الحيوانات الأليفة التي تتسم بالهدوء وغير مؤذية. وفي هذا الإطار، يُستخدم الخروف في الفنون والأدب للتعبير عن النقاء الداخلي والطفولة.
- **البساطة والاعتماد على الآخرين:** يُستخدم الخروف أحيانًا للتعبير عن شخص بسيط لا يميل للخداع، ويتقبل التوجيه من الآخرين. هذه الصفات تعكس شخصيات تعتمد على المحيطين بها للحماية أو التوجيه، وتُظهر الجانب الإيجابي من الطاعة النابعة من الثقة بالآخرين.
- **الرمزية الدينية والروحانية:** رمز التضحية: في العديد من الديانات، يُعتبر الخروف رمزًا للتضحية والافتداء. في الإسلام، يُرتبط الخروف بعيد الأضحى كرمز للتضحية تيمّنًا بقصة النبي إبراهيم. وفي المسيحية، يرمز الخروف إلى "الحَمَل الفادي" (حمل الله) وهو رمز للسيد المسيح الذي ضحى بنفسه من أجل البشرية، هذا الرمز يعبر عن قيمة التضحية بالذات من أجل الآخرين.
- **الصبر والتحمل: يُنظر** إلى الخروف في النصوص الدينية أيضًا رمزًا للصبر والتضحية بالنفس دون مقاومة، وهو ما يعكس نظرة إنسانية للتعامل مع المشقة بصبر وتحمُّل، والقبول بالأقدار المحتومة دون تمرد.
- **التضحية من أجل الآخرين:** فهو رمز للقبول بالتضحية، يُستخدم

الخروف في بعض الثقافات للإشارة إلى الأشخاص الذين يقدمون التضحيات من أجل الآخرين، سواء على المستوى الأسري أو المجتمعي. ويوجد تعبير شائع، "مثل الخروف إلى الذبح"، لوصف شخص يقبل بدور الضحية أو يُضحي بنفسه طواعية في سبيل الآخرين، مما يعكس مفهومًا نبيلًا للتضحية والإيثار.

- **التعبير عن الاستعداد للتضحية لأهداف أكبر:** في سياق علم النفس، يُستعان بصورة الخروف لفهم سلوك الأشخاص الذين يُبدون استعدادًا للتضحية بمصالحهم الشخصية من أجل مصلحة المجتمع أو الأسرة، وهي خاصية تُعتبر قيمة إيجابية في العديد من الثقافات.

الدلالات الرمزية السلبية:

- **الجهل وعدم القدرة على التمييز:** فهو رمز للجهل أو عدم الوعي: نظرًا لسلوك الخروف الذي يتبع القطيع دون تفكير، استُخدم هذا الرمز أيضًا للتعبير عن الجهل أو عدم الوعي لدى الأشخاص. في بعض الثقافات، قد يُستخدم مصطلح "خروف" للإشارة إلى شخص لا يمتلك الوعي أو القدرة على اتخاذ القرارات بنفسه.
- **سلبية الخضوع:** أحيانًا يُنظر للخروف كشخصية سلبية تميل للخضوع وعدم الاعتراض، وهو ما يُعتبر في بعض السياقات إشارة إلى عدم الرغبة في التغيير أو عدم السعي للاستقلالية، هذا الجانب يعكس كيفية النظر للخروف ككائن يقبل بالواقع دون محاولة للتمرد عليه.
- **الإسقاطات النفسية على السلوك الجماعي؛** حيث الانتماء والراحة في الجماعة: صورة الخروف في القطيع تُستخدم لفهم الطبيعة البشرية التي

تميل إلى الانتماء والشعور بالأمان في الجماعات؛ إذ يعكس سلوك الخروف حاجة الإنسان إلى البقاء مع الآخرين كنوع من الحماية الذاتية والراحة النفسية.

- **إسقاطات الطفولة والبساطة:** يرتبط الخروف بالنقاء والطفولة، مما يجعله رمزًا للأشخاص الذين يظهرون تصرفات بريئة أو غير معقدة، ويسعون إلى المساعدة دون التفكير في التبعات. يصف علم النفس هذا النوع من الشخصية بأنه يميل إلى الطاعة وعدم التفكير في الصراعات، ويركز على الحفاظ على السلام الداخلي.
- **الدلالة الرمزية التاريخية:** باعتبار أن الخروف كجزء من الثقافة الزراعية قديمًا، اعتمدت معظم المجتمعات الزراعية على الخراف كجزء من اقتصادها، وكان يُعتبر مصدرًا للغذاء والدفء. هذا الارتباط التاريخي جعل من الخروف رمزًا للاستمرارية في الحياة الريفية، والاستقرار العائلي والاقتصادي؛ لذا، يُمكن اعتبار الخروف رمزًا للتكافل والتعاون في المجتمعات.
- **دلالات التبعية الاقتصادية:** في بعض الثقافات، يُستخدم الخروف للتعبير عن التبعية الاقتصادية؛ حيث يعتمد الراعي على قطيعه لضمان معيشته، مثلما يعتمد الأفراد على الجماعة للحماية والاستقرار.
- **الدلالة السياسية لاستخدام الخروف كرمز:** الخروف كرمز سياسي يعكس مفاهيم تتعلق بالطاعة الجماعية، التبعية، والاستغلال، ويعبر غالبًا عن الجماهير التي تتبع السلطة دون اعتراض. في السياق السياسي، أصبح الخروف رمزًا للدلالة على ضعف الجماهير أو خضوعها لقوى أكبر؛ مما يجعل استخدامه دلالة نقدية على التبعية أو عدم الاستقلالية، خاصة في سياقات الطاعة أو الاستغلال السياسي.

- **الطاعة العمياء والاتباع الأعمى:** يُستخدم الخروف في السياسة للإشارة إلى الجماهير التي تتبع القيادة أو القادة دون تفكير نقدي أو اعتراض. يظهر هذا في أمثال شعبية مثل "يمشي مثل الغنم"، ويُستخدم في الخطاب السياسي للدلالة على الانصياع والطاعة العمياء التي تجعل الشعب يتبع قرارات السلطة دون مقاومة.
- **التسليم للسلطة:** في بعض الأنظمة السياسية، يتم تصوير الشعوب على أنها "قطيع من الخراف" للتعبير عن جماهير لا تملك قدرة على التغيير أو التمرد؛ مما يعزز رمزية الانقياد والطاعة السلبية للسلطة، وغالبًا ما يُنتقد استخدام هذا الرمز من قِبل المعارضين للنظام لتسليط الضوء على سلبيات القيادة الاستبدادية.
- **رمز التبعية والامتثال:** يُستخدم الخروف كرمز لأولئك الذين يتبعون أوامر الدولة أو القادة دون نقاش، ويشير إلى "التبعية السياسية" أو الامتثال للقواعد دون أي شكل من أشكال الاعتراض. يصبح الخروف بذلك رمزًا للمواطنين الذين يقبلون بالوضع القائم ويتجنبون المطالبة بالتغيير أو المعارضة.
- **التلاعب بالقطيع:** يُستخدم رمز "القطيع" للتعبير عن قدرة الأنظمة السياسية على التلاعب بالجماهير وتوجيهها كما تريد. يعكس هذا المفهوم القمع الفكري أو الإعلامي؛ حيث يتم تصوير الجماهير كأنها تُقاد من دون وعي، مما يشير إلى ضعف الاستقلالية والتأثير الإعلامي الكبير على الرأي العام.
- **رمز للضعف والاستغلال السياسي:** يُستخدم الخروف أيضًا في السياسة للإشارة إلى الشعوب أو الجماهير التي تفتقر إلى القوة أو الاستقلالية؛ حيث يُنظر إليها على أنها ضعيفة ويمكن استغلالها

بسهولة، هذا الرمز يوحي بأن الجماهير قد تكون أحيانًا ضعيفة تجاه القادة أو عرضة للانصياع لأوامرهم بسبب ضعف الموارد أو الخوف.

- **استغلال السلطة للجماهير:** يُصور الخروف كرمز للمواطنين الذين يُضحى بهم لصالح السلطات الحاكمة أو لأهداف سياسية؛ مما يعكس عدم المساواة في العلاقة بين الشعب والسلطة، واستخدام السلطة لجماهيرها كأداة لتحقيق مصالحها الخاصة دون اعتبار لحقوقهم أو طموحاتهم.

إجمالًا فإن استخدام الخروف كرمز يحمل دلالات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية وتاريخية ودينية للطاعة العمياء، التبعية، وحتى الاستغلال، فهو يمثل الجماهير التي تُقاد بلا تفكير أو التي تستسلم للسلطة، فالمواطن الخروف من وجهة نظر السلطة مواطن مثالي من الدرجة الأولى.

ثالثًا: الكلب والمواطنة الرمزية

الكلب سيد المعرفة النفسية السلوكية، وصاحب أشهر تجربة في تاريخ المعرفة الإنسانية (تجربة كلب بافلوف)، والتي كانت سببًا في وضع وصياغة قوانين ونظريات التعلم السلوكية، فالكلب له شأن خاص في التراث لما له من مكانة خاصة ودلالات تاريخية واجتماعية واقتصادية ودينية وسياسية وسيكولوجية كبيرة للغاية.

الكلب له دلالات رمزية وسيكولوجية متنوعة في فهم السلوك الإنساني، وذلك لكونه من أكثر الحيوانات ارتباطًا بالإنسان عبر التاريخ؛ إذ يعكس الكلب قيمًا مثل الوفاء، والحماية، وأحيانًا التبعية أو الذل؛ مما يجعله رمزًا مثاليًا لتفسير العديد من الجوانب الإنسانية ومنها:

- **الوفاء والإخلاص:** الكلب يعتبر رمزًا عالميًا للولاء والإخلاص، وهي

صفات تظل محط احترام وتقدير كبيرين في المجتمعات المختلفة. الكلب الذي يبقى بجانب صاحبه ويظهر له الحب والدعم، يُعتبر انعكاسًا للأشخاص الذين يظهرون وفاءً حقيقيًا لأحبائهم وأصدقائهم، كما يعتبر الكلب نموذجًا "لصديق لا يغدر"، ما يعزز فهمنا لضرورة وجود أشخاص يمكن الاعتماد عليهم في حياة الإنسان، تمامًا مثل اعتماد الإنسان على كلبه في الحماية أو المرافقة.

- **رمز الحماية واليقظة:** يتمتع الكلب بحس عالٍ من الحماية واليقظة تجاه المحيطين به، وهذا يرمز إلى دور الإنسان في حماية عائلته وأحبائه، ولذا، يُستعان بصورة الكلب للتعبير عن الناس الذين يقفون في وجه المخاطر ويتصرفون بدافع من الحرص والرغبة في الحفاظ على سلامة من حوله، وفي بعض الأمثال يُقال إن "الكلب الذي ينبح لا يعض"؛ مما يعكس كيفية مواجهة بعض الناس للتهديدات بالإنذار أو التحذير، دون التصرف بعنف.
- **رمز التبعية والطاعة: أحيانًا** يُنظر إلى الكلب كرمز للطاعة والخضوع. وبهذا، يُعبر عن الأشخاص الذين يعتمدون بشكل كبير على الآخرين، أو الذين يظهرون استعدادًا للتبعية المطلقة، حتى لو كانت هذه التبعية تُوصف أحيانًا بصفة سلبية.
- **الثقة المفرطة:** الكلب يظهر ثقة مفرطة تجاه صاحبه، حتى في أوقات الشدة؛ مما يرمز إلى الأشخاص الذين يثقون بالآخرين بشكل كبير وربما غير منطقي في بعض الأحيان، الأمر الذي قد يكون منبعًا للمحبة أو الخطر على حسب السياق.
- **القدرة على التكيف والبقاء بجانب الإنسان:** الكلاب تتكيف مع الظروف المختلفة وتظهر قدرة عالية على التحمل؛ مما يجعلها رمزًا للأشخاص

الذين يتحملون الظروف الصعبة ويستمرون في العطاء والبقاء بجانب الآخرين في الأوقات الصعبة.

- **الشعور بالانتماء:** الكلب غالبًا ما يرتبط بمفهوم "المنزل" أو "الأسرة"؛ مما يجعله رمزًا للأشخاص الذين يفضلون البقاء مع عائلاتهم، ويشعرون بالانتماء إلى مكان معين.
- **الذل أو التودد الزائد:** أحيانًا يُستخدم الكلب في سياقات سلبية ليعبر عن التذلل أو التودد المبالغ فيه. في بعض الثقافات، تُستخدم كلمة "كلب" للإشارة إلى شخص خاضع أو مُذل، وهي دلالة على السلوك التبعي الذي يفتقر إلى الكرامة، كذلك يستخدم الكلب كرمز للتودد الزائد؛ حيث يُنظر إلى الكلب في بعض الأحيان على أنه رمز للشخص الذي يسعى جاهدًا لكسب رضا الآخرين، حتى لو على حساب نفسه. هذا يشير إلى الأفراد الذين يبالغون في تقديم التودد ويفرطون في محاولة الحصول على محبة الآخرين.
- **الكلب كرمز تاريخي:** فالكلب في التراث الإنساني يحمل دلالات تاريخية عميقة ومعقّدة؛ إذ ارتبط الإنسان بالكلب منذ آلاف السنين، وكان له دورٌ متنوع ومهم في الحياة اليومية والدينية والثقافية للشعوب المختلفة. يعكس هذا الرمز مفاهيم مهمة تتعلق بالحماية، الوفاء، التضحية، وحتى الدونية في بعض الثقافات؛ مما يجعله رمزًا متعدد المعاني عبر العصور.
- **الكلب كحارس وحامٍ في الثقافات القديمة:** كان الكلب رمزًا للحراسة والحماية. في مصر القديمة، تم تصوير الكلاب كحراس للأحياء والأموات على حد سواء، وكثيرًا ما وُجدت تماثيل الكلاب أو رسوماتها بجانب الأبواب والمداخل لحماية البيوت والمعابد من الأرواح الشريرة.
- **دور الكلب في الحروب:** في بعض الحضارات مثل الرومانية، تم تدريب

الكلاب واستخدامها كحيوانات حربية تقوم بحماية الجنود ومرافقتهم في المعارك؛ مما يعزز الرؤية التقليدية للكلب كحارس موثوق يضحي بحياته من أجل الآخرين.

- **رمز الولاء والإخلاص:** وصف الكلب بأنه رفيق الإنسان ففي الحضارات القديمة مثل حضارة بلاد ما بين النهرين، نُظر إلى الكلاب كرمز للوفاء والإخلاص، وتُظهِر النصوص والرسوم أن الكلاب كانت تحظى بتقدير كبير وارتبطت ارتباطًا عميقًا بحياة الإنسان اليومية.
- **رفيق في الحياة والموت:** في العديد من المقابر القديمة، وُجدت هياكل عظمية لكلاب بجانب أسيادها، مما يشير إلى أن الكلاب كانت تُدفن مع مالكيها كرمز للولاء حتى بعد الموت. في بعض الحالات، كانت الكلاب تُدفن بترتيبات وطقوس خاصة، مما يُظهر مكانتها الرفيعة لدى الإنسان.
- **الكلب في الأساطير والديانات:** ففي الأساطير اليونانية، كان الكلب جزءًا من الأساطير، إذ يُعد "سيربيروس" (Cerberus) الكلب ذو الرؤوس الثلاثة حارسًا للعالم السفلي، ويرمز إلى الحماية من الأرواح الشريرة ومنع الهروب من الموتى، بينما في الثقافة الفارسية القديمة (الزرادشتية)، يُعتقد أن الكلاب تُكلَّف بمهام دينية لحماية الروح ومرافقتها بعد الموت، كذلك في الإسلام، رغم أن الكلب يُعتبر نجسًا من الناحية الطقسية، فإنه يُحترم لكونه كائنًا موكّلًا بالحراسة والصيد. وفي القرآن الكريم، تأتي الإشارة إلى كلب "أصحاب الكهف"؛ مما يجسد صورة الكلب كرفيق في رحلة مقدسة وحامية.
- **رمز للخضوع أو التبعية والذل:** ففي بعض الثقافات، استخدم الكلب كرمز للإشارة إلى الخضوع والتبعية المطلقة. كلمة "كلب" كانت تُستخدم في الأدب العربي القديم بشكل مجازي للإشارة إلى الذل والخضوع، وأحيانًا

كانت تُستخدم كإهانة ونوع من السباب.

- **التجسيد الطبقي:** استخدم الرومان الكلاب كرمز اجتماعي للتبعية؛ حيث كانت الكلاب ترافق السادة وأفراد الطبقة الأرستقراطية، وهو ما جعلها رمزًا للتبعية والانصياع التام للرؤساء، خاصةً في أوروبا الإقطاعية.
- **الكلب كحارس للعدالة:** ففي الأساطير الفرعونية، كان الكلب يُمثل الإله "أنوبيس" الذي كان مسؤولًا عن عملية تحنيط الموتى وحمايتهم في العالم السفلي. أنوبيس كان يُصوّر برأس كلب أو ابن آوى، مما يرمز إلى دوره كحامٍ للعدالة وضامن لمرور الأرواح بسلام.
- **الصيد والاعتماد على الكلب:** ففي المجتمعات الزراعية والصيد، كان الكلب أداة مساعدة لا غنى عنها للإنسان. مما جعله رمزًا للتعاون بين الإنسان والطبيعة، خاصةً في المجتمعات القديمة التي اعتمدت على الكلب في توفير الغذاء والحماية.
- **رمز للتكافل:** الكلب كان يعبر عن مبدأ "التكافل" الذي عكسته الحاجة إلى وجوده في جميع المجتمعات؛ مما أسهم في بناء العلاقات الإنسانية، فالحاجة إلى الكلب لتأمين الطعام أو الحماية قادت إلى علاقة تكافلية تعبر عن أهمية الشراكة بين الإنسان والحيوان.

الدلالات السياسية الرمزية للكلب:

- **رمز للولاء والطاعة للسلطة وللحاكم:** يُستخدم الكلب في السياسة كرمز للولاء والطاعة التامة للحاكم أو للنظام السياسي، هذا الرمز يشير إلى القادة أو الأفراد الذين يظهرون ولاءً مطلقًا لسلطتهم أو نظامهم، حتى لو كان ذلك الولاء يُعتبر أحيانًا غير مشروط.
- **الإخلاص السياسي:** في الأنظمة السياسية، يستخدم الكلب للتعبير عن

الشخصيات أو الأحزاب التي تلتزم بولاء كامل للدولة (كلاب النظام)؛ مما يجعلها غير قادرة على انتقاد النظام أو التمرد عليه، مثل تعبير "الكلب المخلص" لوصف أعضاء الأحزاب الحاكمة أو الشخصيات ذات المناصب العليا.

- **الحماية والدفاع عن الدولة:** الكلب يستخدم كرمز للحارس الذي يحمي الدولة أو النظام السياسي من التهديدات الخارجية أو الداخلية، مثل أجهزة المخابرات أو القوات الأمنية التي يُنظر إليها كحامية للنظام. وقد يعكس هذا الرمز القوة أو الحزم في الحفاظ على أمن الدولة؛ مما يُظهر دور الحارس كمدافع أساسي ضد الفوضى.
- **الكلب كأداة قمعية:** في بعض الحالات، يُستخدم رمز الكلب للإشارة إلى القوة التي تُمارس على المعارضة السياسية أو الحركات الشعبية. ويُرمز إلى الكلب كأداة قمعية للحفاظ على النظام، كما يعكس صورة سلبية للسلطة التي تعتمد على العنف للحفاظ على السيطرة.
- **التبعية السياسية للقوى الأجنبية:** قد يُرمز إلى بعض القادة أو الدول بالكلاب لتبيان التبعية لقوى أجنبية، في إشارة إلى فقدان الاستقلالية واتّباع مصالح دول أخرى. يستخدم هذا الرمز في الخطاب السياسي لانتقاد السياسيين أو الدول التي تُعتبر تابعة لقوى خارجية؛ حيث يُشار إليهم بأنهم "كلاب مسيّرة" لمصالح أجنبية.
- **الرمز للاستبداد والعبودية:** قد يُستخدم الكلب للتعبير عن الشخصيات السياسية التي تخضع لأوامر قوى أكبر منها أو تستغل الشعب من أجل تحقيق مصالحها الشخصية، وتعبير "**الكلاب المسعورة**" يُستخدم للإشارة إلى السياسيين الذين يعملون على قمع الجماهير بلا رحمة.
- **رمز الاستقرار والأمن:** الكلب قد يستخدم للتعبير عن الاستقرار والأمان؛

حيث يُنظر إلى القادة أو السياسات التي تحافظ على الأمان الداخلي على أنها "حامية" للشعب، تمامًا كما يقوم الكلب بحماية المنزل. يظهر هذا الاستخدام غالبًا في الخطابات السياسية التي تؤكد أهمية الأمن كأولوية.

- **الولاء لشخصية وطنية:** قد يُستخدم رمز الكلب للإشارة إلى شخصيات تاريخية أو سياسية وفية لمبادئ وطنية أو سياسية محددة؛ حيث يكون الكلب في هذه الحالة رمزًا إيجابيًا للقادة الذين حافظوا على وفائهم للقيم الوطنية.
- **الهجوم السياسي على المعارضين؛** حيث يستخدم رمز الكلب أحيانًا في الخطابات السياسية كأداة هجومية ضد الخصوم أو المعارضين، ويُشار إلى السياسيين المعارضين بأنهم "كلاب" كإهانة لهم أو تشويه لسمعتهم، هذا الاستخدام يعكس محاولة لإضعاف المعارضين وجعلهم يظهرون بصورة تابعة أو غير نزيهة.
- **استخدام الكلب لوصف الجواسيس:** قد يُستخدم الكلب للإشارة إلى الجواسيس أو المخبرين الذين يجمعون المعلومات ويعملون في الخفاء؛ مما يبرز دورهم في تتبع ومراقبة المعارضة.
- **الكلب كرمز للتحالفات:** ففي بعض السياقات، يُستخدم الكلب كرمز للدول أو الحلفاء الذين يلتزمون بالدفاع عن بعضهم البعض، كما يُعتبر الكلب رمزًا للصداقة المخلصة والحماية المشتركة. يستخدم هذا الرمز لتشبيه العلاقات العسكرية والسياسية التي تُبنى على أساس الحماية المتبادلة، مثل التحالفات الدفاعية.
- **التعبير عن الشعب أو الجماهير:** أحيانًا يُستخدم الكلب للتعبير عن الطبقات العاملة التي تعاني من القمع، ولكنها تظهر ولاءً للسلطة، مثل "كلاب الشوارع" التي تعيش في ظروف صعبة ولكنها جزء أساسي من

المجتمع، ويعبر هذا الرمز عن صبر الطبقات العاملة في وجه الصعوبات وإظهار القوة أمام التحديات.

- **التعبير عن السخط الشعبي أو الجماهيري:** أحيانًا يتم تشبيه الشعب بالكلاب كنوع من إظهار الاستياء أو الاحتجاج، ويعكس هذا التشبيه المطالب الشعبية بالعدالة والمساواة، مثلما تم استخدام رموز الكلاب في بعض الثورات كرمز للسخط الشعبي.
- **الدلالات الرمزية للكلب البوليسي:** الكلب عمومًا يرمز للولاء والإخلاص، وبالأخص الكلب البوليسي الذي يكون مدربًا بشكل خاص لخدمة وحماية الإنسان. هذه الصفة تُبرز مكانته كرمز للتعاون الوثيق والثقة بين الإنسان والحيوان.
- **الحماية والأمن:** يمثل الكلب البوليسي رمزًا للحماية والأمان؛ حيث يُدرب للكشف عن التهديدات والمخاطر المحتملة، سواء في الأمور الأمنية أو إنفاذ القانون.
- **القوة والانضباط:** يعكس الكلب البوليسي الانضباط العالي؛ حيث يتم تدريبه بشكل صارم لأداء مهام محددة، مما يجعله رمزًا للقوة تحت السيطرة والالتزام بالقوانين.
- **رمز السلطة والقوة:** تستخدم الكلاب البوليسية في بعض الأحيان كأدوات تمثل قوة القانون والسلطة؛ مما يعطيها بُعدًا سياسيًا يتعلق بفرض النظام والأمان في المجتمع، ويمكن أن يُنظر إليها كرمز لسيطرة الدولة وقدرتها على ردع الجرائم وحماية المواطنين.
- **الأداة التنفيذية للدولة:** تُعتبر الكلاب البوليسية وسيلة تنفيذية تعتمدها الدولة لتحقيق الأمن وإنفاذ القوانين. وفي بعض السياقات، قد يُنظر إليها كمؤشر على مدى صرامة الدولة أو استخدام القوة عند التعامل مع الأزمات.
- **التأثير الاجتماعي والسياسي:** وجود الكلاب البوليسية في الفعاليات

والأماكن العامة يرسل رسائل مباشرة عن الاستعداد الأمني واليقظة؛ مما يعزز الشعور بالرقابة، ويدعو المجتمع إلى الاحترام والالتزام بالقوانين.

الدلالات السيكولوجية للكلاب البوليسية:

- **الشعور بالأمان والثقة:** الكلاب البوليسية تزيد من شعور الأمان لدى الناس، خاصة في الأماكن العامة؛ حيث يرى الناس في وجودها حماية من التهديدات المحتملة، وهذا يؤثر إيجابيًا على السلوكيات الاجتماعية ويعزز الشعور بالاستقرار النفسي.
- **التوتر والخوف:** على الجانب الآخر، قد تُثير الكلاب البوليسية القلق والخوف لدى البعض، خاصة عند ارتباطها بسيناريوهات أو مواقف معينة مثل التفتيش الأمني أو المداهمات؛ مما يترك أثرًا نفسيًا على الأشخاص الذين يعيشون في مناطق تتمتع بإجراءات أمنية مشددة.
- **الاحترام والانضباط:** الكلاب البوليسية تعزز أيضًا الشعور بالانضباط. وجودها يجعل الأفراد يميلون للالتزام بالقواعد العامة بسبب حضورها ودورها في إنفاذ القانون؛ مما يؤثر نفسيًا في تعزيز الانضباط الذاتي لدى الأفراد.
- **الولاء والشراكة الموثوقة:** بالنسبة لأفراد السلطة، الكلب البوليسي هو شريك موثوق ومخلص في العمل؛ إذ يتم تدريبه وتربيته ليكون حليفًا يعتمد عليه في المهام الميدانية الخطرة، وهذا يولد صورة ذهنية إيجابية عن الكلاب البوليسية كرمز للولاء والإخلاص والقدرة على القيام بالمهام الصعبة.
- **الكفاءة والأداء:** الكلب البوليسي يجسد صورة الكفاءة؛ حيث يُنظر إليه كأداة مهمة في كشف الجرائم وتعزيز الجهود الأمنية، فأفراد الشرطة

يعتبرون الكلاب البوليسية وسيلة فعّالة تعزز أداءهم، سواء في الكشف عن المخدرات أو تتبع الآثار أو تأمين الحشود.

- **الردع والقوة:** يرى أفراد السلطة في الكلب البوليسي أداة للردع وإظهار القوة؛ حيث إن وجوده يعزز هيبة السلطات في الأماكن العامة ويبعث برسالة تحذيرية للمتجاوزين عن القانون. إن الكلاب البوليسية لا تُستخدم فقط كوسيلة دفاعية، بل أيضًا كرمز للقوة التي تمثلها السلطة.
- **الانضباط والتدريب العالي:** الكلاب البوليسية تتمتع بقدرات تدريبية عالية، وهذه الصورة تعزز الثقة لدى أفراد السلطة في كفاءتها. يُعد الكلب البوليسي نموذجًا للالتزام والانضباط، ويعتبر مرآة للانضباط الذي يتطلبه العمل الأمني في الميدان، فيرى المواطن في الكلب البوليسي رمزًا للحماية والأمان، وفي بعض الأحيان مصحوبًا بشيء من الرهبة والقلق، بينما يراه أفراد السلطة شريكًا موثوقًا وأداة فعالة للردع والتعامل مع التحديات الأمنية. في كلتا الحالتين، يعكس الكلب البوليسي مزيجًا من القوة والولاء والكفاءة والانضباط؛ مما يجعله رمزًا قويًا في السياق الأمني والاجتماعي.
- **التشابه بين أفراد الأمن المدربين والكلاب البوليسية:** ينبع من طبيعة العمل المشترك والصفات المشتركة التي تجعل كلًّا منهما شريكًا قويًا للآخر. يجمعهما الانضباط، الشجاعة، التفاني، والقدرة العالية على الاستجابة في الظروف الصعبة؛ مما يسهم في تحقيق الأمان والاستقرار للمجتمع.

إجمالًا لهذا الطرح فإن المواطنة الرمزية قد تصلح للحمار والخروف لكنها لا تصلح للكلب، باعتباره امتدادًا للسلطة وإحدى أدواتها لتحقيق الأمن والاستقرار سواء بشكل تلقائي وسلمي أو بشكل قهري وقمعي، وتبقى الصور الذهنية ساحة يمتزج فيها الواقع بالخيال والمتاح بالممكن والماضي بالحاضر

والحرية بالقهر، ويظل الإنسان في حالة من السعي نحو فهم وتفسير السلوك وتحقيق أقصى حالات الإشباع والرضا حتى في أشد ظروف القهر والقمع، فالراعي يحتاج إلى حمار يركبه وخروف يأكله وكلب يحرسه وقطيع يشعر معه وبه ومن خلاله بكل أشكال السيادة والرهبة.

قائمة المراجع

النجار، خالد. (٢٠٢٤). إبداعات مصرية في علم النفس. القاهرة: تنوير للطباعة والنشر.

النجار، خالد. (٢٠١٨). نظرية التدافع. محاولة تنظيرية لفهم وتفسير السلوك الإنساني. الإسكندرية: مؤسسة حورس للنشر والتوزيع.

Bodrova, E., & Leong, D. (2024). *Tools of the mind: The Vygotskian approach to early childhood education*. Taylor & Francis.

Darling, P. (1981). Creativity v. Despair : The Challenge of Preservation Administration. Fall.9, 179-189.

Feleihi, S., Abedanzadeh, R., & Saemi, E. (2023). 'Let them play' the effect of active play on motor proficiency and social maturity of children. *Early Child Development and Care*, *193*(2), 201-210.

Gbislin, B. (2017). The Creative Process. London: University of California Press.

Geetha, S. (2019). Creativity in the Face of Despair in John Edgar Wildeman's Sent for You Yesterday.Jetir, Vol 6, (3), 262-270.

Hagman, G. (2017). Art, Creativity, and Psychoanalysis. New York: Routledge.

Kaufman, J.& Sternberg, R. (2010). The Cambridge Handbook of Creativity. Cambridge University Press.

Piotrowska, A. (2020). Creative Practice Research in The Age of Neoliberal Hopelessness. Edinburgh press.

Rodado, J.(2018). Creative Expressions of Despair. Resilience and Psychic Potentiality. Psychology, 9, 2473-2590.

Tabasum, I.& Khan, M. (2015). Coping Despair with Creativity in Tennessee Williams The Glass Menagerie. Kashmir Journal of Language Research, Vol 18, 143-151.

Ulanov, A. & Rosen, D. (2013). Madness and Creativity. Texas University Press.

Vidal, N, (2004). Creativity & Madness Revisited from Current Psychological Perspectives. Journal of Consciousness Studies. 11, 58-78.